سؤال الأمن الثقافي زمن الانفتاح الرقمي:
بين اشكالية الحفاظ على الخصوصية الثقافية وحتمية حوار الثقافات

The cultural security in the era of digital openness:
Between the preservation of cultural privacy and the imperative of intercultural dialogue

آسية بلخير

جامعة 8ماي1945 قالمة، الجزائر، belkhir.assia@univ-guelma.dz

تاريخ الإرسال: 2022/01/17 **تاريخ القبول:** 2022/05/12 **تاريخ النشر:** 2022/07/01

ملخص:

إن الكيان الحضاري لأي شعب يعبر عن مجموع قيمه، معتقداته، التي تشكل ثقافته الوطنية ;هويته الحضارية التي تميزه عن غيره من الشعوب، وفي عصر شهد تسارع رهيب لاستخدامات تكنولوجيا الاعلام والاتصال كأبرز مخرجات العولمة فرضت أنماطا جديدة للتفاعل الاجتماعي بين الشعوب والأفراد تداخلت فيها الثقافات واختلطت القيم، فأصبح الحديث عن ثقافات معولمة بمعالم جديدة ولدت أزمات اجتماعية كأزمة الهوية والثقافة الوطنية ، وأزمة الاندماج ...، فالتغير السريع الذي تشهده مجتمعاتنا على صعيد المنظومة الثقافية والقيمية توجب البحث عن مقاربات معاصرة قادرة على تفسير العلاقة بين الفرد والمجتمع الرقمي ضمن منظومة تفاعلية قائمة على الحفاظ على الموروث الثقافي وتقبل الثقافات الأخرى، الأمر الذي يدفعنا الى البحث في آثار الانفتاح الرقمي على الأمن الثقافي و تحديد عوامل تعزيز الأمن الثقافي وحماية الخصوصية الثقافية في مقابل تحقيق الانسجام والتوافق مع الثقافات الأخرى.

الكلمات المفتاحية: *الأمن الثقافي ؛ الهوية الثقافية؛ الانفتاح الرقمي؛ حوار الثقافات.*

Abstract:

The civilizational entity of any people expresses the sum of its values, beliefs, and habits that express its cultural identity that distinguishes it from other peoples. The era of information and communication technologies imposed new patterns of interaction between individuals in which cultures overlapped and values were mixed, so the talk about globalized cultures with new landmarks generated social crises. Numerous, necessitated the search for approaches capable of explaining the relationship between the individual and the digital society based on preserving the cultural heritage and accepting other cultures, which prompts us to research the effects of digital openness on cultural security and identify factors that enhance cultural security and protect cultural privacy in exchange for harmony and compatibility with other cultures.

Keywords: *Cultural security; Cultural identity; Digital openness; intercultural dialogue*

* **المؤلف المرسل:** آسية بلخير، belkhir.assia@univ-guelma.dz

مقدمة:

حملت موجات العولمة تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية جاوزت آثارها حدود الدولة القطرية، وأخذت تؤثر في الثقافات المحلية للشعوب بأشكال متفاوتة حتى أصبحت أداة من أدوات الصراع والتنافس الدولي، مشكلة ثقافة عالمية مندمجة لها قيم ومعايير وسلوك وعادات، وسيطرة غربية على سائر الثقافات بواسطة استثمارها في تكنولوجيات الاتصالات وثورة المعلومات ما أدى إلى التأثير على الهوية الثقافية الوطنية/المحلية وفقدان التوازن بين المحلي والمعولم واحتدام الصراع بين الحفاظ على الثقافة والهوية الوطنية كمبدأ من مبادئ السيادة الوطنية وبين الانصهار في الثقافة العالمية وما فرضته من حتميات التحول والاندماج مع الآخر، وبين هذا وذاك فرضت متغيرات السياق العالمي الحديث ضرورات التوفيق والتكيف بين الثقافة المحلية التي تعبر عن الهوية الوطنية وبين الثقافة العالمية، والتي مثلت تحديا لكثير من الدول التي وقفت عاجزة في الحفاظ على موروثها الثقافي ومبادئ هويتها الوطنية ومواكبة مستجدات العصر والانسجام مع الثقافات الأخرى أو على الأقل تقبلها، تلك الحدود الفاصلة لا تزال محل اشكال حول معالم رسمها ونطاقاتها وحدودها.

على ضوء ذلك احتدم النقاش حول إشكالات الأمن الثقافي في ظل المتغيرات المتسارعة التكنولوجية التي يعرفها العالم والذي يعبر-الامن الثقافي- عن الوجود الحضاري لأي شعب وخصوصيته وانتماءاته في ظل استمرار الترويج للثقافات الأخرى وأنماطها الفكرية المتعددة والمتناقضة من حيث مضمونها وأهدافها والتي تهدد استقرار الوجود الحضاري وهوية الشعوب المغزوة.

تحاول هذه الدراسة بالتحليل والنقاش البحث في فرص/رهانات تحقيق الأمن الثقافي زمن الفضاءات المفتوحة من خلال البحث في الاشكالات التالية :

1. مالمقصود بالأمن الثقافي وعلاقته بمسالة السيادة الوطنية؟
2. ماهي أبرز معالم عصر الفضاءات المفتوحة(الانفتاح الرقمي)؟
3. ماهي آثار الانفتاح الرقمي على الأمن الثقافي؟
4. كيف يمكن تحقيق الانفتاح الثقافي مع الحفاظ على الثقافة الوطنية؟
5. ماهي حدود/ فرص تحقيق الأمن الثقافي في ظل استمرار الغزو الثقافي؟

في سعينا للإجابة على الأسئلة السابقة، نحاول اختبار الفرضيات التالية:

1. كلما كان هناك انفتاح رقمي غير مراقب كلما أثر على الأمن الثقافي الوطني.
2. ترتبط عناصر الأمن الثقافي في عصرنا الحالي بمدى تحكمنا في تكنولوجيات الاعلام والاتصال.
3. تتحدد قوة الشعوب بمدى تمسكها بثقافتها وهويتها الوطنية ومدى فهمها واستيعابها واندماجها المحدود-المشروط-مع الشعوب والثقافات الأخرى.

ولأن خصوصية العلمية في أي دراسة تتحدد بمدى تطبيق المنهجية العلمية فيها، لذا تفرض علينا طبيعة الموضوع في اختبار الفرضيات التالية اعتماد المنهج العلمي الوصفي-التحليلي في تحليل أبعاد الأمن الثقافي ومحددات ومعالم العصر الرقمي وآثاره على الأمن الثقافي .

أما بخصوص أهداف الدراسة فهي عموما تهدف الى:

- تحديد دقيق لمفهوم الأمن الثقافي وأهميته في تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي والأمن المجتمعي؛

- التعرف على مخاطر الانفتاح الرقمي كأحد معالم العولمة الثقافية وانعكاساتها على الهوية الثقافية الوطنية؛
- تحديد متطلبات الصمود للجهات الغربية لطمس الثقافات الوطنية من خلال تعزيز القيم والثقافات المحلية؛
- في اطار الانفتاح على الآخر الذي بات ضرورة وحتمية لا يمكن تجاهلها وهو ما فرضته مواقع التواصل الاجتماعي خاصة، لابد من تفعيل أنماط التفاعل والتواصل والحوار مع الثقافات والحضارات الأخرى وتبادل الأفكار والأنماط السلوكية بما يضمن التعايش والتكيف من جهة والحفاظ -على الأقل- على الحد الأدنى من خصوصية الثقافات المحلية من خلال التوفيق بين تجاذبات الثقافات المعولمة والمحلية.

وللإجابة على هذا التساؤلات السابقة، تتناول الورقة البحثية بالتحليل والبحث العناصر التالية:

1. الأمن الثقافي/الانفتاح الرقمي: المفهوم والعلاقة

أ. الأمن الثقافي: دلالة المفهوم ونطاقه زمن العولمة
ب. الانفتاح الرقمي: سيرورته، ومظاهره

2. الأمن الثقافي بين الخصوصية الثقافية وحوار الثقافات(الثابت والمتحول)

أ. متطلبات الحفاظ على الخصوصية الثقافية
ب. حدود/فرص الأمن الثقافي في ظل حتمية حوار الثقافات

1. الأمن الثقافي/الانفتاح الرقمي: المفهوم والعلاقة

تفرض أي دراسة علمية تحديد وضبط المفاهيم ضبطا دقيقا ما يمكن الباحث من فهم متغيرات بحثه وتصويبه نحو المسارات المقصودة بسلاسة، لذا سنعمد الى ضبط مفهومي للمتغيرات الرئيسة: الأمن الثقافي كمتغير تابع والانفتاح الرقمي كمتغير رئيس بضبط معانيهما ومظاهرهما والعلاقة بينهما.

أ. الأمن الثقافي: دلالة المفهوم ونطاقه زمن العولمة

إن مفهوم الأمن الثقافي مفهوم مركب بين مصطلحين(الأمن/الثقافة) لذا تفرض عملية ضبطه تعريف دقيق لمصطلحي الأمن والثقافة حتى يتسنى لنا تقديم تعريف أكثر دقة للأمن الثقافي.

- **الأمن: التعريف والخصائص**

لايزال مفهوم الأمن من المفاهيم التي تعرف العديد من الاختلافات والتجاذبات بين المفكرين والباحثين لاختلاف توجهاتهم وسياقات أبحاثهم من جهة ولعلاقته وتشابكاته مع مختلف مناحي الحياة(الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، الثقافية، العلمية...)، بالإضافة الى أنه من أكثر المفاهيم تعقيدا لكونه متجدد لتعدد الحاجات الأمنية وتنوعها تبعا لظروف ومتغيرات الحياة المعاصرة وتحدياتها.

وقد عرف المصطلح العديد من التعريفات نذكر منها:

-الأمن هو مجموعة من الإجراءات التربوية والوقائية والعقابية التي تتخذها السلطة لصيانة وحماية الوطن والمواطن وإستتبابه داخليا وخارجيا، وانطلاقا من المبادئ التي تدين بها الأمة ولا تتعارض مع المقاصد والمصالح المعتبرة .

-أو هو الحالة التي تتوفر لا يقع في البلاد إخلال بالنظام العام إما في صورة جرائم أو نشاط خطير يلزم تدابير وقائية وأمنية واجتماعية .

-كما عرف بأنه ثمرة الجهود المبذولة والمشتركة من قبل الدول وأفراد المجتمع خلال مجموعة من الأنشطة والفعاليات في شتى مجالات الحياة للحفاظ على التوازن الاجتماعي. (بن معيض 2006، ص.116)

-ومن أكثر التعاريف تداولا في الأدبيات الأمنية المتخصصة تعريف "باري بوزان" للأمن على أنه "العمل باستمرار على التحرر من التهديد"، وفي سياق النظام الدولي فإن الأمن هو "قدرة الدول والمجتمعات على الحفاظ على كيانها المستقل وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي تعتبرها معادية، لأن الدول في سعيها للأمن تكون في انسجام مع المجتمع، كما أنها قد يتعارضان أحيانا. فأساس الأمن هو البقاء ولكنه يحتوي أيضا على جملة من الاهتمامات الجوهرية حول شروط الوجود (بالة 2018، ص.ص 18-19).

ومن المتفق عليه ولو بشكل نسبي حول تعريف الأمن، هو أنه وضع أو حالة يغيب فيها الخطر والتهديد، وجميع التعريفات تعبر عن مضمون جوهري واحد ودائم للأمن هو: عدم الخوف والإحساس بالاستقرار والطمأنينة، أما شكليا فتبقى عناصره المتغيرة موضوع خلاف واتفاق وفق لمتغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية وسياقات طرحها.

- **مفهوم الثقافة/الهوية الثقافية**

الثقافة مفهوم يتميز بالاتساع والشمول، وارتبط تطوره بتطور العلوم الأنثروبولوجية، ويعتبر الأنثروبولوجي إدوارد تايلور أول من قدم تعريفا ناضجا للثقافة (ابراهيمي 2018، ص. 575)، إذا كان تايلور أول من اقترح تعريفاً مفهوميا للثقافة، فهو ليس أول من استخدم هذا المصطلح في علم الإناسة. وهو نفسه كان، في استخدامه لهذا المصطلح، متأثراً مباشرة بعلماء الإناسة الألمان الذين قرأ لهم، لا سيما غوستاف كليم الذي كان يستخدم كلمة kultur بمعنى موضوعي لا سيما حينما كان يحيل إلى الثقافة المادية وهو ما كان مخالفاً للتقاليد الرومانسية الألمانية (بوطقطوقة 2013، ص.11)

يعرف "إدوارد تايلور" الثقافة بأنها "هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع" (بوطقطوقة 2013، ص.14)، ويعرفها "رالف لنتون" بأنها "الشكل العام للسلوك المتعلم ونتاج هذا السلوك الذي يشترك في العناصر المكونة له ويتناقله أعضاء المجتمع بعينه". (ابراهيمي 2018، ص. 575)

وفي الأدبيات العربية يذكر الدكتور نصر محمد عارف في كتابه " الحضارة -الثقافة – المدنية" أن هناك اتجاهين في ترجمة كلمة CULTURE إلى اللغة العربية، فالاتجاه الأول يعرفها بأنها المعارف والعلوم والآداب والفنون يتعلمها الناس ويتثقفون بها، وقد تحتويها الكتب ومع ذلك هي خاصة بالذهن. أما الاتجاه الثاني فيعرف الحضارة مقابلة لترجمة .CULTURE أما "مالك بن نبي" فيعرفها بمجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه (فيلالي 2014، ص. 108).

ويعرفها "روبرت بيرستد" بأنها : ' ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه آو نقوم بعمله آو نمتلكه كأعضاء في المجتمع " .

أما "غي روشيه" فقد قدم تعريف أكثر شمولا :" الثقافة هي مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير والشعور والفعل وهي طرق صيغت تقريبا في قواعد واضحة والتي اكتسبها وتعلمها وشارك فيها جمع من الأشخاص تستخدم بصورة موضوعية ورمزية في أن واحد من اجل تكوين هؤلاء الأشخاص فهي جماعة خاصة ومميزة".(النجيري 1991، ص. 15-16).

قسم "رالف لينتون" في كتابه "الأساس الثقافي للشخصية" الثقافة إلى ثلاث أقسام هي:

- **العموميات:** وهي مكونات الثقافة التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع وتشمل الأفكار والعادات والتقاليد والسلوك وأنماطه سواء بين الصغار والكبار وجميع مظاهر الحياة في المجتمع.

- **الخصوصيات:** وهي مكونات الثقافة التي يشترك بها مجموعة معينة من أفراد المجتمع بمعنى عناصر تحكم سلوك مجموعة أفراد دون غيرهم متصلة بمناشط اجتماعية حددها المجتمع لفئاته في تقسيمه للعمل بين الأفراد.

- **البدائل:** هي مكونات الثقافة التي لا تنتمي إلى العموميات فهي لا تكون مشتركة بين أفراد المهنة الواحدة أو طبقة اجتماعية واحدة ولكنها تظهر وتجرب لأول مرة في ثقافة المجتمع ويمكن الاختيار فيما بينها. (فيلالي2014، ص. 116)

ويجب الإشارة إلى أن هناك علاقة وطيدة بين الهوية والثقافة، فإذا كانت الهوية هي جسر يعبر من خلاله الفرد إلى بيئته الاجتماعية والثقافية، فهي إحساس بالانتماء والتعلق بمجموعة، وعليه فالقدرة على إثبات الهوية مرتبطة بالوضعية التي تحتلها الجماعة في المنظومة الاجتماعية ونسق العلاقات فيها، فإن الهوية الثقافية هي تعبير عن الحاجة إلى الاعتراف والقبول والتقدير للإنسان ففي الهوية الثقافية تشتغل جدلية الذات والآخر وتعيد كل جماعة بشرية تأويل ثقافتها من خلال اتصالاتها الثقافية، وكل كائن جماعي حي يتحول ويتغير من الداخل على ضوء تغير المصادر القيمية والسلوكيات، ومن الخارج بفعل أشكال التأثير الناتج عن علاقة الفرد بالمحيط كما أنها كيان يسير ويتطور وليس معطى جاهز ونهائي وهي تتطور إما في اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار، وهي تغذى بتجارب أهلها وانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى. (ولد خليفة 2003، ص.92).

فمصطلح الهوية الثقافية يعبر عن الخصوصية الذاتية والتفرد بصفات وخصائص معينة تعكس هذه الخصوصية وتميز هذه المجتمعات عن بعضها أو هي مجموعة من التراكمات المعرفية سواء كانت انطلاقا من الدين أو العادات أو التقاليد التي عاشها الإنسان منذ ولادته وتربى عليها وكانت شيئا أساسيا في تكوينه بحيث أصبحت من شخصيته وطبيعته (ابراهيمي 2018، ص. 581)، وهي تتكون في الغالب من ثلاث عناصر:

-**الدين:** وهو الجانب الروحي؛
-**المجتمع:** وهو الجانب الاجتماعي؛
-**الوطن:** وهو الانتماء الطبيعي.

فالهوية الثقافية لأي أمة، هي القدر الثابت والجوهري والمشترك السمات والقسمات التي تميز حضارة أمة عن غيرها من الحضارات والتي تمنح الشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية القومية الأخرى.

➢ **تعريف الأمن الثقافي**

اقترن استعمال مفهوم الأمن الثقافي بميلاد ظاهرة العولمة في بدايات عقد التسعينات من القرن الماضي، فالعولمة تعبر عن تطلع وتوجه اقتصادي سياسي تكنولوجي حضاري ثقافي تربوي تذوب فيه الحدود بين الدول، وبين الشمال والجنوب والحضارات بعضها بعض فهي حركة معقدة ذات أبعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وحضارية وثقافية وتكنولوجية أنتجها ظروف العالم المعاصر وتؤثر على حياة الأفراد والمجتمعات. (المجالي 2005، ص.216).

ذلك الاقتران يحمل دلالة من وجهين: من حيث أن الثقافة عانت كثيرا من مشكلات أمنها الذاتي حين كان نطاقها القومي مدار اشتغالها وفعاليتها، ومن حيث أن العولمة نفسها اكتملت معالمها حين حملت على ركاب ثقافي وأنتجت ثقافتها العابرة للحدود (نزاري 2011، ص. 51).

وأشار "باري بوزان" و"أول ويفر" أحدا رواد مدرسة كوبنهاغن للأمن إلى الأمن الثقافي من خلاله تضمنيه ضمن قطاعات الأمن تحت عنوان "القطاع المجتمعي"، والذي يعني قدرة المجتمعات عن إعادة إنتاج أنماط خصوصياتها، كاللغة والثقافة والهوية والعادات في ظل منافسة مستجدات العولمة لهذه العناصر، ويفهم من ذلك حفظ ودعم الاستقرار الثقافي كاللغة والهويات الموجودة داخل المجتمع (بوستي 2019، ص. 09).

كما أن الأمن الثقافي أحد أهداف الأمن المجتمعي، والذي هو أحد أنواع تهديدات الأمن الإنساني، من خلال تقوية البعد الثقافي وصون الكرامة الثقافية ودعم المساواة في المكانة الثقافية، وأيضا تمكين الأقليات والسكان الأصليين من حقهم في الهوية الثقافية (منيغر 2014، ص . 45-62).

ويعرف الأمن الثقافي بأنه "المسؤول عن حماية قيم المجتمع ومبادئه وعقائده ولغته وتقاليده وعاداته وسائر العناصر التي تتشكل منها هويته، وهو المسؤول عن حماية الأجيال من الاختراقات الفكرية الهدامة . (جرار 2017، ص.09)

مر الأمن الثقافي في زمن العولمة بالعديد من التغيرات المتسارعة التي تحمل في طياتها إيديولوجية التنميط والاختراق الثقافي، وهي تتجلى في صياغة ثقافة عالمية مندمجة لها قيم ومعايير وسلوك وعادات، وسيطرة غربية على سائر الثقافات بواسطة التقدم التكنولوجي في مجال ثورة الاتصالات وثورة المعلومات ساعدت على عملية الغزو والاختراق، خلقت قيم جديدة عن مرجعية الثقافة الوطنية أدت إلى حدوث خلل في منظومة الامن الثقافي بمختلف أبعاده.

ب. الانفتاح الرقمي: بداياته، ومظاهره

شهد العالم مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، ثورة في عالم التقنيات كأبرز افرازات العولمة، فعرفت تطور كبير في تكنولوجيات الاعلام والاتصال واستخدام واسع النطاق لشبكة الانترنت عبر مواقع التواصل الاجتماعي أو ما يعرف بالإعلام الجديد ما أدى الى تغيرات عميقة مست كل التمثيلات السياسية والاجتماعية وأدت الى بروز أنماط جديدة من التفاعلات الاجتماعية غير التقليدية نحو تشابكات افتراضية أسست لأشكال جديدة من المجتمعات ألا وهي المجتمع الافتراضي أو الرقمي الذي يعبر عن جماعة من الأفراد تربطهم اهتمامات مشتركة، ولا تربطهم بالضرورة حدود جغرافيّة أو أواصر عرقيّة أو قبليّة أو سياسيّة أو دينيّة، يتفاعلون عبر وسائل الاتصال ومواقع التواصل الاجتماعي الحديثة، ويطوّرون فيما بينهم شروط الانتساب إلى

الجماعة وقواعد الدخول والخروج وآليات التعامل والقواعد والأخلاقيات التي ينبغي مراعاتها. وبتعبير دي موور ووايجاند de Moor and Weigand المجتمع الافتراضي هو "نظام اجتماعي تكنولوجي".(عبد العال الديربي مارس2013، https://bit.ly/3yTaFCU)

كما أتاحت تقنيات الاتصال ممثلة في مواقع التواصل الاجتماعي خاصة سهولة وسرعة وحرية تواصل الناس ببعضهم البعض وتبادل الأفكار والخبرات والتأثير ومناقشة قضاياهم السياسية والاجتماعية بحرية مطلقة ودون قيد، فنشأت أنماط من المشاركة والتفاعل ما عمق الروابط بين الافراد والجماعات ذات الاهتمام المشترك لتولد لديهم الإحساس بالمسؤولية المشتركة والانتماء الجماعي في ظل فضاء رمزي أو ما أسماه (يورغن هامبرماس) سنة 1962 بالمجال العام الذي يعد اطارا جديدا لعلاقات اجتماعية عابرة للقوميات والأماكن، والذي يتكون من مجموعة من الأفراد لهم سمات مشتركة مجتمعين مع بعضهم كجمهور، وأن نجاح المجال العام يعتمد على مدى الوصول الى والانتشار القريب من فكرة العالمية، مع محاولة إيجاد سياق اجتماعي ملائم.(نرمين زكريا خضر 2009، ص.943-944).

ساهم الانتشار الواسع في استخدام تكنولوجيات الاعلام والاتصال وتزايد الاستثمار في آلياتها كمخرجات العولمة بمختلف أبعادها الى بروز أنماط جديدة من التفاعلات الاجتماعية غير التقليدية نحو تشابكات افتراضية أسست لأشكال جديدة من المجتمعات ألا وهي المجتمع الافتراضي أو الرقمي أو ما يطلق عليه بالمجال العام يعبر عن جماعة من الأفراد تربطهم اهتمامات مشتركة، ولا تربطهم بالضرورة حدود جغرافيّة أو أواصر عرقيّة أو قبليّة أو سياسيّة أو دينيّة، يتفاعلون عبر وسائل الاتصال ومواقع التواصل الاجتماعي الحديثة، ويطوّرون فيما بينهم شروط الانتساب إلى الجماعة وقواعد الدخول والخروج وآليات التعامل والقواعد والأخلاقيات التي ينبغي مراعاتها. وبتعبير دي موور ووايجاند de Moor and Weigand المجتمع الافتراضي هو "نظام اجتماعي تكنولوجي".(عبد العال الديربي مارس2013، https://bit.ly/3yTaFCU)

فالعولمة حملت في طياتها حتمية وضرورة الانفتاح الرقمي من خلال تشجيع الثورة التكنولوجية التي شهدها مجال المعلومات والاتصال والتي ساهمت في عملية التفاعل الاجتماعي الالكتروني من خلال انتاج ونشر واستهلاك وتبادل المعلومات ضمن شبكات رقمية ، وتتسم بـ:

1- اتساع عدد مستخدميها وتعدد لغاتهم و جنسياتهم وغموض هوياتهم؛

2- التواصل الشبكي الافتراضي المتداخل : INTERCONNECTEDNESS ما يسمح بالتواصل المتعدد الأقطاب بشكل آني وسريع ويحقق ديمومة التفاعل والتواصل؛

3-سرعة الاستجابة والدخول: من خلال تبادل التفاعل بين مختلف الأطراف في اطار الجماعة الافتراضية بشكل طوعي ارادي حر؛

4-التفاعلية : INTERACTIVITY :قدرة المستخدم على الاستجابة والمشاركة في تبادل المعلومات وفق طبيعة الجماعة ما يجعلها مرنة وقابلة للتغير.

5-وسيلة التواصل: والتي تعبر عن التطبيقات الحديثة التي تجمع افراد المجتمع الواحد، والتي يكون استعمالها وفق شورط العضوية من اسم مستخدم وكلمة مرور، ولعل أهمها مواقع التواصل الاجتماعي FACE) (BOOK , Myspace, Flickr، المدونات الاجتماعية، المنتديات الالكترونية، ...(إبراهيم بعزيز 2011، ص. 48).

ومن أبرز مظاهر الانفتاح الرقمي نجد:

1-الاستخدام الواسع لشبكة الأنترنت

الشبكة العنكبوتية أو الأنترنت تمثل أحد أبرز مظاهر الانفتاح الرقمي، إذ نشأت منذ خمسينات القرن الماضي، وعرفت تطورا تكنولوجيا هائلا منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا، والشكل التالي يوضح نسبة تطور استخدام الانترنت في الفترة 1995-2020

شكل رقم 01: منحنى بياني يظهر تطور مستخدمي شبكة الأنترنت حول العالم

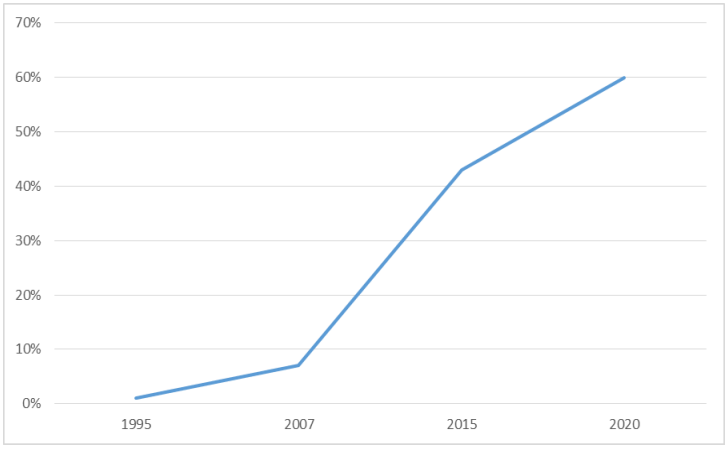

المصدر: الاتحاد الدولي للاتصالات (مارس 2021)، **إحصاءات مستخدمي الانترنت**، Internet World Stats

يظهر الشكل السابق تطور نسب استخدام شبكة الأنترنت حول العالم، ففي عام 1995 لم يتعدى عدد المستخدمين 1%، بينما وصل عدد المستخدمين خلال 2007 حدود 9%، بينما فاق عدد المستخدمين 40% خلال 2015، وارتفع العدد الى 60% سنة 2020 .

2- ربط وسائل الاعلام مع الوسائل الالكترونية الحديثة

منذ اختراع جهاز الكمبيوتر وإلى يومنا هذا، شهد العالم الانتقال من الحاسوب إلى الهاتف الذكي واللوحة الرقمية الذكية والتلفاز الذكي، وإذ تعد وسائل الإعلام أحد مهددات الأمن الثقافي، فقد أصبح بالإمكان متابعة مختلف وسائل الاعلام عبر الوسائل الذكية السابقة الذكر في أي وقت ومكان، كما ظهرت وسائل إعلام الكترونية، كالصحف والجرائد الإلكترونية.

شكل رقم 02: رسم بياني لعدد مستخدمي الهواتف الذكية حول العالم (الوحدة بالمليار)

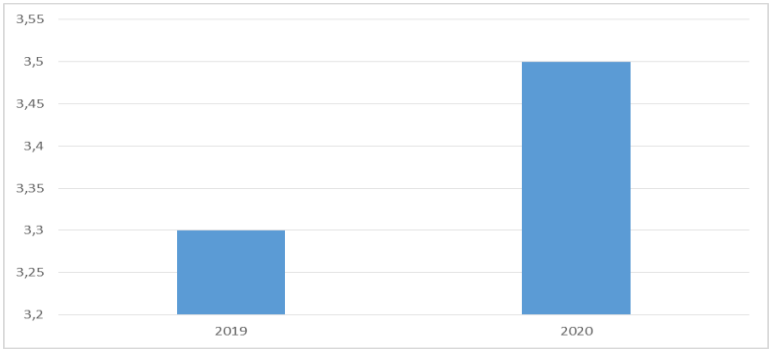

المصدر: الميضين (2020)، مرجع سابق

يظهر الشكل السابق بأن عدد مستخدمي الهواتف الذكية خلال 2019 بلغ 3,3 مليار شخص حول العالم، وزاد عدد مستخدمي الهواتف الذكية بنسبة 6% خلال 2020، ليبلغ 3,5 مليار مستخدم.

3- تضاعف عدد الأقمار الصناعية

يعتقد بأن هناك ما لا يقل عن 4500 قمر صناعي، تستخدم لأغراض مختلفة، كالاتصالات والبث الفضائي، والاستخدامات العسكرية والتجارية والبحث العلمي، ووفقا للمعلومات المتاحة، فإنه يوجد 777 قمرا مخصصا للاتصالات، و710 أقمار لمراقبة الأرض، و223 قمرا للتطوير التكنولوجيا، أما عدد أقمار الملاحة وتحديد المواقع فبلغ 137 قمرا، مقابل 85 قمرا لمراقبة الفضاء، وفقط 25 قمرا لعلوم الأرض (2019، https://bit.ly/2ZBiego).

إن الأقمار المخصصة للبث الفضائي، جعلت القنوات التلفزيونية تتضاعف بشكل كبير، إذ يحتوي قمرا صناعي واحد مخصص للقنوات التلفزيونية على آلاف القنوات المتعددة الجنسيات.

4-انتشار مواقع التواصل الاجتماعي واتساع استخدامها

تشهد منصات التواصل الاجتماعي شعبية متزايدة في مختلف أنحاء العالم، ويعد فيسبوك الأكثر انتشارا في العالم إذ وصل عدد مستخدميه في عام 2018 1,47 مليار مستخدم نشط، وهناك نحو 2,2 مليار مستخدم شهريا. وهناك 300مليون صورة تحمل يوميا على فيسبوك، وفي المتوسط يتم إنشاء 5 حسابات جديدة في كل ثانية على هذه الشبكة، أما شبكة تويتر فيقدر عدد المستخدمين عبرها بـ 1,3 مليار . يوجد لدى تويتر أكثر من 336 مليون مستخدم نشط شهريا، ويعد يوتيوب ثالث موقع اجتماعي شعبية عالميا، عدد الزيارات الشهرية على يوتيوب تبلغ 1,5 مليار زيارة كل شهر، في المتوسط، يتم تحميل 300 ساعة من الفيديوهات كل دقيقة. أما شبكة انستغرام المتخصصة بالتشارك بالصور والفيديوهات فقد تشهد نموا متسارعا، لدى انستغرام أكثر من 800 مليون مستخدم نشط شهريا. فمنذ إنشاء انستغرام تمت مشاركة أكثر من 40 مليار صورة، أما عدد مستخدمي الانستغرام النشطين يوميا أكثر من 500 مليون (الطويسي 2020، ص. 449).

ففي العالم العربي، توصلت دراسة تحت عنوان "الاعلام الاجتماعي العربي" صادرة في مارس 2017 عن كلية دبي للإدارة الالكترونية الى الحقائق التالية:

- 64 بالمئة من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي في البلدان العربية هم تحت عمر الـ30.
- اللغة العربية هي اللغة الأكثر استخداماً في الأنشطة في البلدان العربية بنسبة 5 بالمئة.
- 1من أصل 3 المستخدمين في المنطقة من السيدات -أقل من نسبة نشاط النساء على المواقع الاجتماعية عالميا- حيث لم تشهد هذه النسبة أي تغيرات خلال السنوات الست الأخيرة.
- 1من أصل 4 مستخدمين فقط هي من السيدات، في دول الخليج العربي، بنسبة 6،24% من مجمل المستخدمين.
- وسيدة واحدة من أصل 3 مستخدمين، في باقي الدول العربية، بنسبة 6،32% من مجمل المستخدمين.
- 36 بالمئة من المستخدمين نساء، في بلدان المغرب العربي، وتشكل هذه النسبة، الأعلى عربيا.
- وتعد فلسطين -الضفة الغربية وقطاع غزة- الدولة العربية الأولى من حيث التوازن بين الرجال والنساء على الفيسبوك. فيما سلطنة عمان هي في آخر القائمة من جهة أخرى.
- تشير النتائج إلى أن وسائل الإعلام الاجتماعية في العالم العربي، تكتسب أهمية متزايدة وتتغلغل في حياة العرب، خاصة منهم المراهقين والشباب، كما أن النسبة الأكبر من مستهلكي الإعلام الاجتماعي ذكور.(كلية دبي للإدارة الالكترونية 2017، ص.4)

2. هواجس الأمن الثقافي: بين الخصوصية الثقافية وحوار الثقافات(الثابت والمتحول)

كان للانفتاح الرقمي أثره البالغ على في تأسيس منظومة قيم جديدة وثقافات معولمة أثرت على الهوية والثقافة الوطنية ما جعل النقاش محتدما حول كيفية الحفاظ على الهوية والخصوصية الثقافية الوطنية من جهة ومواكبة الانفتاح على الثقافات الأخرى التي فرضت نفسها من جهة أخرى.

أ. الخصوصية الثقافية ومتطلبات الأمن الثقافي

أثارت مظاهر الانفتاح الرقمي هواجس كثير من الدول، بسبب عبورها للحدود، وأثارت نقاشات حول السيادة والخصوصية، كما طرحت تخوف كثير من الدول لاستغلال الجماعات الإرهابية وسائل الانفتاح الرقمي في اختراق مواطنها ثقافيا وتجنيدهم، وبلغت ذروة هواجس بعض الدول من الانفتاح الرقمي مراقبة وسائل التواصل الاجتماعي ومحاولة اختراقها، والتجسس على مواطنها.

كما ساهم العالم الافتراضي في اضعاف الثقافة الوطنية، وانتشر نمط جديد من القيم الغريبة عن المجتمعات الأصلية والتي تتناقض في مجملها مع الموروث الثقافي، فطرحت منظومات قيمية بديلة بل نقيضة في بعض الأحيان وتحول دون تحديث الثقافة، ناهيك عن الاختراق الثقافي الذي نتعرض له، والذي يتغلغل في مكونات ثقافتنا من لغة وقيم وسلوكيات الناس.(علي ليلة 2006 ، ص. 173).

تلك الخروقات أدت الى بروز أزمة قيمية تعبر عن التناقض في السلوكيات والاتجاهات الثقافية والسياسية للأفراد والحكومات، فتقع في حيرة وتردد بشأن توجهاتها وسياساتها التي قد تتناقض ومبادئها ما يعمق الشعور بالتمزق والهشاشة حيث تجد نفسها بين عالمين كلاهما غريب عنه، عالم الثقافة التقليدية التي لا تستطيع أن تضمن حاجاته وعالم الثقافة الدخيلة التي تشعره في كل لحظة بالنقص لأنه يستهلك منتجاتها دون أن يسهم في بنائها، وهو ما أدى إلى انهيار المنظومة القيمية للثقافات الوطنية واختراق الخصوصية القيمية للمجتمعات بإحلال منظومة قيم جديدة في إطار عمليات الغزو الثقافي المستهدفة التي قد تؤدي الى تخلف ثقافي ناجم عن تفكك القيم

الأصلية ووجود صراع مع القيم الواردة مما يولد حالة من الانفصام الثقافي لتتحول إلى حالة من التبعية الثقافية، ففي فرنسا مثلا وصف الباحث الفرنسي" لوران لوفي" بلاده بأنها تعيش هوية مأزومة، و هي التي استلهمت ثقافتها من مفكري الأنوار. (ملكة أبيض 1984 ،ص. 220).

على ضوء تلك الوقائع، طرحت مسألة الأمن الثقافي كجزء من الأمن المجتمعي وأحد أبعاد السيادة الوطنية في بعدها الثقافي-الحضاري –الوجودي، كمسألة ذات أولوية على طاولات النقاش السياسي والفكري وفي أجندات الحكومات الوطنية حول سن قوانين الأمن الالكتروني ووضع قيود رقابة على المواقع الالكترونية التي وإن كانت في مضمونها العام تعبر عن إرادة سياسية للحفاظ على الخصوصية الثقافية وحماية الهوبة الثقافية إلا أن دعاة الفردانية خالفوا ذلك بحجة اختراق للحريات العامة .

غير أن هناك دولا فضلت خيار الحفاظ على الخصوصية الثقافية وأمنها الثقافي بعيدا عن جدالات الحق لكفة المصلحة العامة ككوريا الشمالية التي منعت الأنترنت، وايران التي أنشأت شبكة داخلية للأنترنت، كما فرضت الصين، السعودية، وغيرها رقابة شديدة على الأنترنت وحجب بعض التطبيقات والمواقع.

ب. حدود/فرص الأمن الثقافي في ظل حتمية حوار الثقافات

في خضم التطورات العالمية الحاصلة لا يمكن العيش في عزلة، لذا فإن التفاعل مع الثقافات الأخرى أصبح حتمية حضارية تعبر عن مدى تقبل الأخر والتعايش معه بل أصبحت معيارا لدرجة تقدمه أو تخلفه، فالأمن الثقافي لا يمكن أن يتحقق من خلال التقوقع على النفس والانغلاق، فالتعايش ضمن بيئة مشتركة يفرض ضرورة تبادل الأفكار، الثقافات...وتقبل الاختلاف، كما ذكر في القرآن الكريم: "وخلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا..." الآية13، سورة الحجرات، وكما طرح المفكر الفرنسي "روجيه غارودي" نظريته حول حوار الحضارات التي يدعو فيها الى الجمع بين الحضارات المختلفة على أساس أرضية مشتركة للتفاهم على مستوى شعوب الأرض، من هنا لابد من الاعتراف بضرورة حوار الثقافات فالعلاقات بين الكيانات الثقافية، هي في أغلب الأحيان علاقة منسوجة من خيوط المُعاشِ والمُتَخَيَّل. و هي لا تقتصر على الظهور في أشكال شفَّافة من الاستعارة والتفاعل والتأثر والتأثير، بل هي نوع من التلاقُح والإخصاب الثقافي، كثيرا بل غالبا، ما يفلت من زمام التحكُّم و المراقبة. بل إنه ليكاد ينقلِب إلى ضرب من العدوى الثقافية تنتقل بطرق سريعة وخفية. ومما لا شك فيه أن التطور المذهل الذي يشهده عصرنا، في ميادين تكنولوجيا الاتصال والإعلام والمعلومات، يُوفِّر إمكانيات هائلة لانتشار هذه العدوى!

إن العولمة الثقافية، لم تعد تسمح بأن يستمر تطور المبادلات الثقافية بالصُّدفة أو بشكل، بل أصبحت تفرض على الكيانات الثقافية المختلفة اختيارا حاسما: إما الاندماج والانصهار التدريجي في منظومة جديدة من القيم ومبادئ النظام العالمي الجديد، وإما التقوقع والانكماش المُفضي مع مرور الزمن إلى العزلة القاتلة.

أمام هذه المعطيات فكيف يمكننا رعاية الأمل في إمكانية قيام حوار حقيقي ومنتج بين الثقافات البشرية المختلفة في عالم اليوم، مؤسس على التكافؤ والعدل، في زمن تتعالى فيه أصوات مذكرة بالتفوُّق الثقافي، ومُنذرة باندلاع حروب الثقافات؟

هناك تيار تفاؤلي يرى في إعادة التوازن السياسي والاجتماعي والاقتصادي بين الشعوب، وفي تقريب الثقافات والرؤى وفي إعادة صياغة صورة جديدة للنظام العالمي تسوده قيم السلام المشترك، وإعادة إحياء فكرة التعايش السلمي وإحلال العدالة العالمية والدخول في مرحلة التوافق العالمي، التي تستوعب خصوصيات كافة

الشعوب و الحضارات فرصا لتحقيق حوار الثقافات ومنه الأمن الثقافي، بينما هناك من يرى(تشاؤمي) أن ذلك غير ممكن في ظل التمايز والتفوق التكنولوجي بين الدول و وجود مجتمعات مستتبعة فاقدة الهوية ولا تعرف حتى ثقافتها الوطنية، فكيف لها أن تحاور؟ ذلك لأن الثقافة تخوض حوارها مع كل ما تتصل به وما يُطرح عليها ويُتوقّع منها.

وبين هذا وذاك، يمكن القول وإن كانت المعطيات الحالية توضح رجاحة الرأي الثاني، إلا أن التصور الأول غير بعيد أو مستحيل إذا ما تم تفعيل الحوار الحضاري، ونشر الوعي بمخاطر الانغلاق الثقافي من جهة ومخاطر الغزو الثقافي من جهة أخرى، بدعوى الدفاع عن الهوية الثقافية وصيانة "الخصوصية"، التي تتمتع بها الثقافات الوطنية في سعيها إلى المحافظة على ثقافاتها والحيلولة دون تذويبها، ولن يتحقق الأمن الثقافي إلا إذا قامت بأداء الأدوار الثقافية الآتية:

-أن تنمي داخلها قيم الحرية والانفتاح والحوار والعدالة، ذلك أن هذه القيم هي التي تجعل ثقافة ما أكثر جاذبية من غيرها.

-خلق تزاوج فعال بين الثقافة والتقانة الحديثة، مما يجعل الثقافة سلعة ذات جاذبية عالية يصبح من السهل قبولها والتعامل معها.

-على الدول التي تهدف إلى مواجهة التهديدات الثقافية للعولمة تقليل اعتمادها على الخارج عن طريق العمل من أجل تقديم منتوج ثقافي يكون الأرقى والأجود.

-الدول التي تتكون من مجموعات عرقية وثقافية مختلفة عليها العمل على تفعيل التنوع الثقافي فيها بالشكل الذي يساهم في إغناء الثقافة الوطنية ويحول دون إثارة الصراعات والانقسامات العرقية والثقافية التي نجدها اليوم أكثر بروزا.

خاتمة:

مما سبق نستخلص جملة النقاط التالية:

-إن الانفتاح الرقمي كمخرجات للعولمة الثقافية التي تسعى إلى فرض ثقافة الغرب ومحو الثقافات الأخرى التي تتعارض معها، وخاصة ثقافة الدول الصغرى تحت وطأة الغزو الثقافي، وغالبا ما تعجز هذه الدول عن وقاية نفسها من تأثيرات الثقافة الوافدة. فتضطر إلى التخلي التدريجي عن سماتها وقيمها الثقافية، أو قد تدفع الجماعات الثقافية والدينية إلى الاحتماء بخصوصيتها هربا من العولمة وانعكاساتها المختلفة.

-إن شبكات الاتصال الاجتماعي لم تعد مجرد أداة اتصالية للتشبيك الاجتماعي أو وسيلة للترفيه، بل أصبحت تقوم بدور متعدد الأبعاد، سياسي واجتماعي وثقافي، وأداة لإعادة تشكيل الهويات على مستويات مختلفة، وبالتالي أداة لإعادة تشكيل الثقافات المجتمعية.

-إن الانفتاح الرقمي غير المسبوق ورغم إيجابياته المعرفية والعلمية والتواصلية إلا أنه أصبح مهددا للهوية الثقافية لمختلف الدول، خصوصا في ظل تعدد وسائل التواصل الاجتماعي وسهولة الولوج إليها، وهو ما أثار هواجس حول الأمن الثقافي في ظل هذا التحدي الجديد.

-إن حوار الثقافات يركز على ضرورة فتح الطريق أمام التعددية الثقافية التي تحول دون هيمنة قوة واحدة وثقافة واحدة على العالم، ففلسفة حوار الحضارات من شأنها إحلال الديمقراطية في العلاقات الدولية كما أنه السبيل الوحيد للخلاص من فكرة "صدام الحضارات" و"التبعية الثقافية"، وهي تسمح للشعوب بالتوجه نحو الآخر والاعتراف بإبداعاته.

-وفي سبيل تحقيق الأمن الثقافي لابد من تحقيق التوازن بين كفتي الحفاظ على الخصوصية الثقافية في مقابل التفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى وتقبل الاختلاف والتنوع، مع التمكين الفكري والثقافي للمجتمع المحلية من حيث إلمامها بمعرفة شاملة حول حضارتها والحضارات الأخرى، لأن معرفة الآخر تجعلك تعرف كيف تتعامل معه.

قائمة المراجع

1. ابراهيمي، أ. (2018). العلاقة بين الثقافة والهوية. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. الجزائر: جامعة محمد بوضياف لمسيلة. مجلد 07. عدد14.
2. أبيض،م. (1984). الثقافة وقيم الشباب. دمشق: وزارة الثقافة السورية.
3. بالة ،ع. (2018). التهديدات الأمنية في منطقة الساحل الافريقي وتداعياتها على الأمن القومي الجزائري –مالي أنموذجا- . أطروحة دكتوراه. الجزائر: كلية الحقوق والعلوم السياسية. باتنة.
4. بعزيز، إ.(2011). دور وسائل الاعلام الجديدة في تحول المتلقي الى مرسل وظهور صحافة المواطن. مجلة الإذاعات العربية، تونس. العدد03.
5. بن معيض، ف آ.(2006)). استراتيجية الإصلاح والتطوير الإداري ودورها في تعزيز الأمن الوطني. رسالة دكتوراه غير منشورة. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
6. بوستي، ت. (22 مارس 2019). مدرسة كوبنهاغن نحو توسيع وتعميق مفهوم الأمن. إسطنبول: المعهد المصري للدراسات.
7. بوطقطوقة، م. (19 جوان 2013). تايلور والمفهوم العالمي للثقافة. تصفح يوم 20 فيفري 2021، https://bit.ly/2ZC24Dq.
8. جرار ،ص. (2017). الأمن الثقافي. تصفح يوم 20 فيفري 2021، https://bit.ly/2ZysyWz.
9. حطى،س. (2017). 60 % من سكان العالم سيستخدمون الإنترنت بحلول 2020 بحسب الاتحاد الدولي للاتصالات. تصفح يوم 20 فيفري 2021، https://bit.ly/3uiybWT.
10. الديربي، ع ع.(2013). المجتمعات الافتراضية. تم التصفح بتاريخ: 2017/02/20 https://bit.ly/3yTaFCU
11. الطويسي،ب. (2020). التحصين المعرفي في عصر شبكات الاتصال الاجتماعي. مأخوذ من: الأمن الثقافي: دراسات وأبحاث. عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان.
12. فيلالي ،س. (2014). بنية الهوية الجزائرية: دراسة على عينة من الطلبة الجامعيين بباتنة. أطروحة دكتوراه، بسكرة: كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. جامعة محمد خيضر.
13. منيغر ، س. (2014). التنوع الثقافي من منظور الأمن المجتمعي. مذكرة ماجستير. سطيف: كلية الحقوق والعلوم السياسية. جامعة سطيف 02.
14. المجالي، ع.(2005). قضايا معاصرة. الأردن: دار وائل للنشر.

15. الميضين، إ. (أكتوبر 2020). 3.5مليار مستخدم نشط للهواتف الذكية حول العالم. تصفح يوم 20 فيفري 2021، https://bit.ly/3k5fYrg.

16. النجيري، م م . (1991). الأمن الثقافي العربي. الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.

17. خضر، ن ز.(17/15 فبراير2009). الاثار النفسية والاجتماعية لاستخدام الشباب المصري لشبكات التواصل الاجتماعي. ورقة بحث مقدمة في المؤتمر الأول حول الاسرة والاعلام وتحديات العصر. مصر: كلية الاعلام.

18. نزاري، ص. (2011). الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي في ظل تنامي العولمة: دراسة مقارنة لحالات الجزائر-تونس- المغرب، مذكرة ماجستير. باتنة: كلية الحقوق. جامعة الحاج لخضر.

19. كلية دبي للإدارة الالكترونية.(2017). احصائيات فيس بوك في البلدان العربية. الامارات العربية المتحدة.

20. ليلة ،ع.(2006). "حالة الثقافة العربية ومؤشرات رصدها". ضمن كتاب لـ: إسماعيل سراج الدين. مرصد الإصلاح العربي. مصر: مكتبة الإسكندرية.

21. ولد خليفة، م ع.(2003). المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية .